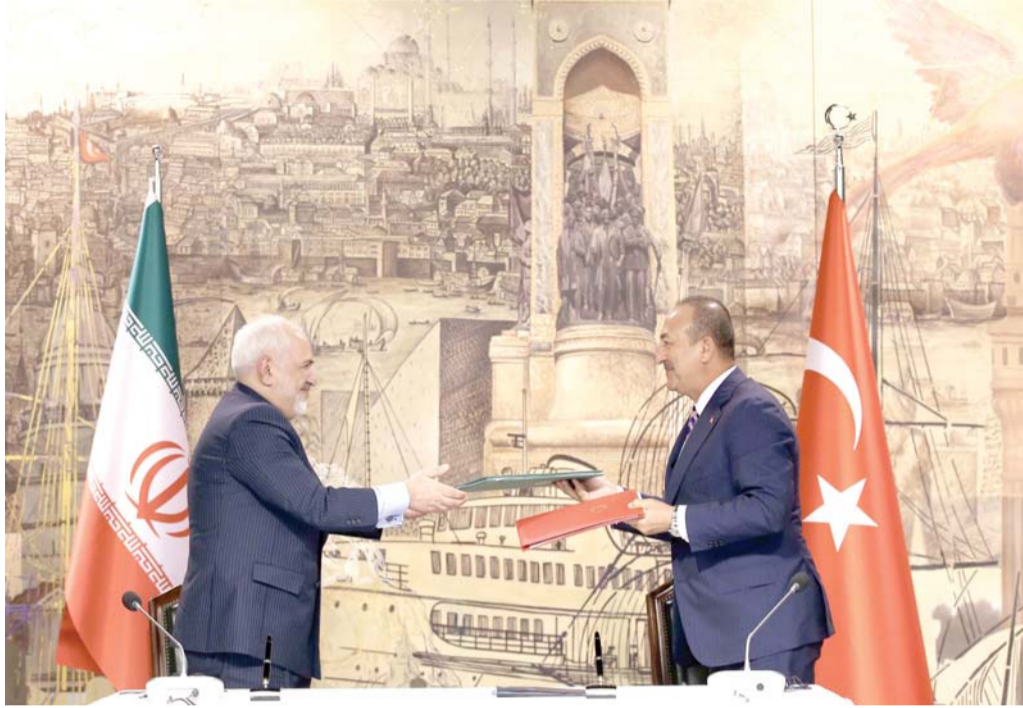


## وزن الحضارات في مكيال الدول.. إيران وتركيا نموذجا



لمعظم أجزاء العالم العربي الإسلامي قرابة أربعمئة عام تكاد تخلو من أي إرث حضاري، اللهم عدا المجال العمراني في بعض المدن العربية القريبة من العاصمة إسطنبول. وعلى الرغم من أن الخلاف العربي حول أيّ الدولتين هي الأجدر بالتحالف معها ما يزال في أوجه، إلا أن المقاربة الموضوعية للامر تؤكد أن التقارب المذهبي "السني" مع تركيا غير كاف أبداً، بالمقابل فإن توقف إيران عن توظيف الاختلاف المذهبي في الشأن السياسي، وعن محاولاتها المستمرة تصدير "ثورتها" إلى الدول العربية بما يهدد أمن وسياستهم، يجعلها الحليف الأفضل. على أمل وفي انتظار أن تستعيد الدول العربية بعضاً من قوتها ومكانتها، لتشكيل شخصية عربية قادرة على حمل همومها بنفسها، دون الاستناد إلى إيران أو تركيا أو سواها من القوى الإقليمية الأخرى.

العام، وتمت إعادة إحياء التنافس التاريخي بين هاتين القوتين على النفوذ والهيمنة. وبحكم الرابطة الدينية التي جمعت كلا من الدولتين مع العرب عبر قرون طويلة، سرعان ما ترتب على هذا الصراع أن أصبح الانتماء الطائفي هو الذي يحدد كفة الميل للانظمة العربية نحو أي من النظامين اليمينيين المحافظين في طهران أم انقره.

ولا يمكن هنا إلا المرور على العداء العربي بشكل عام، والخليجي بشكل خاص تجاه إيران، والذي يمكن إعادته إلى جملة من الأسباب كان من أهمها استغلال طهران السياسي للدين وللذميمة، ومحاولة تصدير الثورة لتحقيق الإطعام التوسعية في المنطقة، عدا عن "قلق المكاة" الناتج عن المنافسة القديمة/المتجددة بين الحضارتين العربية والفارسية، في حين مالت الكفة العربية الرسمية، في مناسبات كثيرة، نحو تركيا لاعتبارات مرتبطة بأدائها خليفة المسلمين عبر قرون طويلة، على الرغم من احتلالها - المسمى فتحاً -

يتجلّى أمامنا بوضوح، كاشفاً لنا حقيقة التمايز بين البلدين. لا ينفي هذا الاختلاف بين الدولتين في التعاطي مع إرثيهما التاريخيين، وجود بعض التشابه في الأثر الدولي العام، إذ يكاد نظاما الحكم يتماثلان في مقاربتهم للعديد من القضايا على الصعيد العالمي، حيث تحاول إيران دائماً أن تنتزع لنفسها مكانة على خارطة النفوذ الدولي، ولا تتردد بالافتتاح على القوى العظمى متى اقتضت الحاجة، ومحاولاتها كسب الرهان النووي مع الغرب خير دليل على ذلك. وفي الوقت ذاته، لا يمكن إغفال أن تركيا هي عضو فاعل في حلف شمال الأطلسي منذ خمسينات القرن العشرين، وأحد أكبر جيوشه، ناهيك عن مساعيها الملحة والمستمرة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. ومع تراجع الأدوار العربية خلال القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، واحتدام الصراع بين المشاريع الإقليمية المختلفة في المنطقة المتازمة، نشط الدوران الإيراني والتركي في المشهد

والأدب وحتى الطب، وأنشأ الصوفيون فيها حضارة تميز بين العقل والروح، ما جعلها تتميز بين الأمم كعادتها. بالمقابل، لم يوضح الوجود التركي كقوة فاعلة ومؤثرة في المنطقة إلا بعد أن انهارت الإمبراطورية البيزنطية على يد العثمانيين المسلمين في القرن الخامس عشر للميلاد، فكان فتح القسطنطينية 1453م - معقل المسيحية الشرقية - منعطفاً تاريخياً مهماً في تحول الإمارة العثمانية إلى دولة قوية، تسعى إلى التوسع بعيداً بنزعة نشر الإسلام في العالم. وبالفضل.. رقرقت الربة العثمانية في المراحل اللاحقة على أجزاء واسعة من آسيا وأوروبا وأفريقيا، بعد "بحر" التوسع الصفوي الفارسي من عدة مناطق. لقد نصب الحكام العثمانيون أنفسهم "خلفاء" للمسلمين لإعطاء أنفسهم الشرعية الدينية لحكم الأمم المسلمة في البلدان المجاورة، لكنهم لم يتبنوا القيم الإسلامية الحقبة فتركوا وراءهم تاريخاً مكسباً بالمجازر والحروب والتفرقة بين الشعوب، لفرض الهيمنة والاستحواذ على السلطة المطلقة. لقد اتسمت الفارسية والعثمانية على حد سواء بالنزعة التوسعية، لكن الأولى حملت إلى جانب ذلك كل صفات الحضارة العظيمة جمعت ما بين القوة والإنجاز والإبداع والعقل والإرادة، في حين كان العثمانيون قوة كبيرة فقط، فنشرت الخلف والتقهقر الحضاري في معظم ما احتلته من دول. ولأن التاريخ يستند على المقولة الآتية "لا شيء يزول ولا يأتى تاماً، وإنما هي الأشياء نفسها تأخذ مع الأيام صوراً شتى"،

تتجلى أمامنا بوضوح، كاشفاً لنا حقيقة التمايز بين البلدين. لا ينفي هذا الاختلاف بين الدولتين في التعاطي مع إرثيهما التاريخيين، وجود بعض التشابه في الأثر الدولي العام، إذ يكاد نظاما الحكم يتماثلان في مقاربتهم للعديد من القضايا على الصعيد العالمي، حيث تحاول إيران دائماً أن تنتزع لنفسها مكانة على خارطة النفوذ الدولي، ولا تتردد بالافتتاح على القوى العظمى متى اقتضت الحاجة، ومحاولاتها كسب الرهان النووي مع الغرب خير دليل على ذلك. وفي الوقت ذاته، لا يمكن إغفال أن تركيا هي عضو فاعل في حلف شمال الأطلسي منذ خمسينات القرن العشرين، وأحد أكبر جيوشه، ناهيك عن مساعيها الملحة والمستمرة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. ومع تراجع الأدوار العربية خلال القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، واحتدام الصراع بين المشاريع الإقليمية المختلفة في المنطقة المتازمة، نشط الدوران الإيراني والتركي في المشهد

تحيط بـ"الجارين اللدوين" في الوقت الحالي، لا بد من العودة إلى الماضي لاستكشاف التباين بين الحضارتين، دون التغاضي عن التاريخ الطويل والمشارك الناتج عن التقارب الجغرافي واللغوي، ناهيك عن تقاطع الأحلام التوسعية المتماثلة في مراحل القوة. لا تتطلق مواقف إيران وتركيا إزاء التفاعلات والتغيرات في العالم من استجابة عفوية ولحظية، بل تعكس جذوراً تاريخية حددت المصالح والأولويات الوطنية لكلا الدولتين في مناسبات مختلفة، فلطالما انطلقتا من الإرث الإمبراطوري الذي يمتد بالنسبة إلى إيران (الفارسية) إلى ما قبل الميلاد وحتى ظهور الحقبة الإسلامية، في حين يمتد بالنسبة إلى تركيا إلى أكثر من ستة قرون تقريباً، يوم اكتملت الشخصية التركية "الهجينة" - المعتمدة على الثقافات التي وطئت وأحاطت بأرضها - على يد العثمانيين.

وفي سياق الحديث التاريخي عن الحضارات، تؤخذ دائماً بعين الاعتبار المظاهر المختلفة والعديدة التي ميزت حضارة ما عن أي حضارة أخرى، وهذا ما يتجلّى واضحاً في الوجود الفارسي في المنطقة منذ بداياته المبكرة وحتى أقوله، حيث أورث الفرس التاريخ البشري جملة من الإنجازات في كافة المجالات، إذ كانت حضارتهم مركزاً عالمياً للثقافة والعلوم والفن والموسيقى آنذاك، عدا عن نموذجها الناجح في الإدارة المركزية، واستخدام لغتها الرسمية في جميع الأقاليم التي كانت تحت سيطرتها، فقد ضمت تحت جناحها مجموعة من أبرز المواقع الحضارية في العالم القديم، مثل: بلاد الرافدين ووادي النيل ووادي السند الهندي، وكان الفرس بذك أول من أنشأ شبكة تنقلات تجارية تربط بين القارات الثلاث أفريقيا وآسيا وأوروبا. لاحقاً، قام الفتح العربي بإنهاء تلك الإمبراطورية القوية، بيد أن الشخصية الفارسية الصامدة عبر الزمن، استطاعت وبليلة تامة أن تتماهى مع الإسلام تحت عباءة الأمجاد القديمة، فنقشت فضلاً عن أبرز فصول التاريخ الإسلامي في العالم، حيث ولدت كوكبة عظيمة من الفلاسفة والعلماء الذين أنتجوا كماً هائلاً من العلم والمعرفة

حسان إسميك  
كاتب ومفكر عربي

لطالما شكّل الاصطدام ما بين القديم والحديث صراعاً متصلاً، يدخل في صلب كل عمل طامح لصناعة النفوذ أو لبناء المستقبل.. هذا ما نراه بشكل خاص عند الدول التي تتحدر من حضارات عريقة وتاريخ زاخر من الأمتداد والهيمنة. وفي السياق العام لهذا الصراع "تتأشرف" بعض الدول وتتهمّش على الساحة العالمية بفعل انغماسها المفرط في تاريخها، في حين يلمع نجم البعض الآخر كقوة فاعلة ومؤثرة، بفضل إعادة تدوير ماضيها والاستفادة منه. ففارة يدفع التاريخ الدول نحو التطور والمزيد من القوة، وتارة يسحبها نحو الخلف ويزيد من التحديات العامة تحدياً جديداً ونقلاً يعرقل مسيرة تقدمها.

مع تراجع الأدوار العربية واحتدام الصراع بين المشاريع الإقليمية في المنطقة المتازمة نشط الدوران الإيراني والتركي في المشهد العام وتم إعادة إحياء التنافس التاريخي بين هاتين القوتين على النفوذ والهيمنة

يتوضح الصراع آنف الذكر، بشكل عملي وجلي، في حالة "إيران وتركيا"، إذ أن كل واحدة من هاتين القوتين الإقليمية متشغلة بالإرث التاريخي الخاص بها من جهة، ومنهمكة بإرساء الحاضر والتطلع إلى الغد من جهة أخرى، هذا عدا عن التنافس الصامت والحاصل بينهما في المشهد العالمي الحالي، ورغم ما تبدياته من اتفاق حول عدة ملفات ساخنة في المنطقة، ورغم منطله الإسلام السياسي التي تجمعهما. ولاستكمال مجمل الرؤيا المعاصرة التي

## بايدن لإيران: إنما للصبر حدود

## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير  
مختار الدبابة

كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

بحرجهما كثيراً أمام شعوبها، خصوصاً وأن ذلك كله يأتي في أدق مراحل مفاوضات فيينا حول الملف النووي.

الأمر الذي جعل الرئيس الأميركي يدرك صعوبة الفاهم مع نظام تعود على الابتزاز والاحتلال والمكابرة والطمع الزائد، فأصبح مؤمناً بالمثل القائل، إن كان حبيبك عسل.

وهذا ما يفسر الإعلان الخطير المفاجئ الذي أعلن فيه بايدن، في اجتماع مع نظيره الإسرائيلي ريفلين، في البيت الأبيض، أن "إيران لن تحصل أبداً على سلاح نووي وأنا في السلطة".

وتأتي الغارات الأميركية الأخيرة التي استهدفت ميليشيات تابعة لإيران على الحدود العراقية - السورية لتكون رسالة أميركية متشددة للقيادة الإيرانية تنبئها فيها بأن صبر الإدارة الأميركية يقرب من النفاذ، وقد تضطر إلى العودة إلى عصا الرئيس السابق دونالد ترامب، إن لم تُوقف فوراً ونهائياً، تحركات ميليشياتها بالقوات الأميركية، وأن تكف عن المماطلة في فيينا، وإلا فإن الردع العاجل والمؤذي سيكون هو لغة الحوار المعتمدة في الفترة القادمة.

ويبدو أن صواريخ يوم الأحد الماضي لم توفّق في ترويض النظام الإيراني، وإعادة عقلة إليه. فالعجبية والمقامرة والحسابات الخاطئة دفعت به إلى المزيد من التحدي الجديد، حيث أقدم على إطلاق صواريخ جديدة على منشأة تضم قوات أميركية بالقرب من حقل العمر النفطي، في شمال شرق سوريا، الأمر الذي جعل قوات الجيش الأميركي ترد بقصف صاروخي آخر استهدفت المواقع التي أطلقت منها الصواريخ.

وبطبيعة الحال فإن التصعيد يستتبع التصعيد، ومن المتوقع أن يفقد بايدن، كلياً ونهائياً، آخر أماله في جعل الولي الفقيه يجنح إلى المفاهمة، فيرتدي مضطراً، عباءة خصمه ترامب، وقد يكون أشد ضراوة وأكثر قسوة من ترامب على النظام الذي خسر الخط، وسيخسر العصفور في النهاية.

صواريخ يوم الأحد لم توفّق في ترويض النظام الإيراني وإعادة عقلة إليه فالعجبية والمقامرة دفعتا به إلى المزيد من التحدي حيث أقدم على إطلاق صواريخ على منشأة تضم قوات أميركية

إخلاء الساحة العراقية، تحديداً، لإيران ولا غيرها، إلا أن ولا غداً ولا بعد عمر طويل. فأميركا لن تترك العراق، رغم كل الظروف والمصاعب والتضحيات. وذلك أولاً، لأن الموقع الجيوسياسي العراقي ضروري وملح لمصالحها في المنطقة، وثانياً لأنها لا تستطيع أن تتسبب في تاريخها السياسي والعسكري والاقتصادي ما أنفقته، من أجل امتلاكه، من دماء ومليارات وجهود مضنية، ليس من بداية غزوها للعراق عام 2003 فقط، بل من قبل ذلك بسنين، وبالتحديد من أول أيام غزو الكويت وما نتج عنه من تطورات تزامنت مع حربها لتحرير الكويت، وأهمها قرأراً احتضانها المعارضة العراقية السابقة، حتى وهي تعلم بانها معارضة عراقية في ظاهرها، ولكنها إيرانية خمينية، بمشاركة سورية أسدية، في حقيقتها.

وقد جاء الاستعراض العسكري الأحمق الأخير الذي أقامه الحشد الشعبي في العراق، وفي معسكر أشرف الذي كانت تشغله المقاومة الإيرانية، مجاهدي خلق، في ديالى، والذي عرض فيه أحدث أسلحته المتطورة وأخطرها، ليبرهن على حماقة النظام الإيراني الذي لم يحسب أن استعراضاً بهذا الحجم وبهذا النوع وفي هذا التوقيت لا بد أن يُغضب أميركا وإسرائيل وأوروبا، وأن

واعتبر تقرير للمخابرات الأميركية ذلك تصعيداً صريحاً من جانب إيران، ومؤشراً مقلقاً يظهر الولايات المتحدة وكأنها لم تعد تتمتع بالاستقلالية والاحترام.

ولعل أكبر أخطاء النظام الإيراني أنه، بهجمات الغيبة هذه يتوهم أنه قادر على طرد أميركا من العراق، ثم من شرق سوريا، وإجبارها على ترك طريق هلاله الشيوعي الفارسي مفتوحاً، ناهاباً وإياباً، من طهران إلى بيروت، عبر خطي نيوى والأنبار، برضاها أو بعدم رضاها، مقابل تسهيل مهمة الرئيس الأميركي في مفاوضات فيينا، ومكافاته باتفاقية نووية يريدتها ويتلخّف لتوقيعها، ولكن دون تعديلات جوهرية، وبعد رفع جميع العقوبات، والانتظار إلى حين التأكد من رفعتها كاملة ودون مباطلة. وينسى المرشد الأعلى وأعوانه أن أيّ رئيس أميركي، سواء كان بايدن أو ترامب أو غيرهما، لا يملك القدرة على

وكتائب سيد الشهداء على الحدود السورية العراقية، وبامر منه شخصياً. فقد طمع بأكثر مما يستطيع بايدن أو غيره أن يعطيه، وتماهى إلى أبعد الحدود في هجمات التحدي والمشاكسة والتحرش التي أصبحت تحرج الإدارة الديمقراطية، ليس مع معارضيه الجمهوريين، فقط بل مع شريحة واسعة من النواب والشيوخ الديمقراطيين.

فقد ضاعف عمليات إطلاق المُستَرات المتطورة نحو المواقع الأميركية في العراق وسوريا، والتي يؤكد مسؤولون أميركيون أن "في إمكانها أن تهرب من المراقبة والدفاعات الأميركية". ففي وقت سابق من هذا الشهر انجرت طائرة مسيرة في مطعم يقع عند أحد مداخل مطار بغداد. يستخدمه جنود وديبلوماسيون أميركيون. وفي أبريل الماضي الحقت طائرة مسيرة اضطراً بحظيرة للطائرات المسيرة تابعة لوكالات المخابرات المركزية الأميركية بالقرب من أربيل.

إبراهيم الزبيدي  
كاتب عراقي

الثابت والمؤكد أن الرئيس الأميركي جو بايدن لم يقصّر في محاولة ترضية النظام الإيراني، وإعادته إلى الحظيرة الأوبامية، وإعادة أمواله المجمدة لدى الولايات المتحدة أو لدى حلفائها في أوروبا وآسيا، وإلغاء الكثير من عقوبات ترامب الخائفة، والتساهل معه في ملفات انتهاكاته لحقوق الإنسان، ونشاطاته الإرهابية في المنطقة، مقابل التوقيع، والالتزام بعدم السعي لامتلاك سلاح نووي، على الأقل بعدُ قادم من السنوات.

ولكن المرشد الأعلى علي خامنئي لم يترك له خياراً سوى هذه الهزيمة من الصواريخ المفاجئة الحارقة المحقة التي أطلقتها الجيش الأميركي يوم الأحد الماضي على معسكرات حزب الله العراقي

